1)-منطقة الجنوب الشرقي الجزائري طبيعيا وتاريخيا ودخول الإحتلال الفرنسي إليها

أ)- الموقع والمساحة والحدود :

نقصد بإقليم الجنوب الشرقي تلك المناطق الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية من القطر الجزائري وعاصمته الجهوية ورقلة أو ولاية الواحات، ويضم المناطق الواقعة في محيط وادي ريغ ومنطقة الواحات ووسط الصحراء وصولا إلى منطقة الهقار والطاسلي يحد الجنوب الشرقي من الشمال كل من بسكرة الجلفة والأغواط،ومن الشمال الشرقي ولايتا خنشلة وتبسة ومنطقة الجنوب التونسي ،ومن الغرب ولايتا أدرار والبيض ،ومن الجنوب الغربي جمهورية النيجرب956كلم ،أما الجنوب الشرقي للإقليم فله حدود مع دولة مالي ،ومن الناحية الشرقية الحدود الليبية ب982كلم [1].

الموقع الفلكي : يمتد إقليم الجنوب الشرقي من الدائرة العرضية34° شمالا إلى الدائرة 19° جنوبا إي بامتداد من شماله إلى جنوبه قدره 15°، أما عرضا فيمتد الإقليم بين خطي طول2° -10°شرقا، وتقدر

(1) الهادي قطش ،عبد الرحمان احمد إدريس، أطلس الجزائر والعالم ،ط2، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر،2011 ،ص ص21 .24

مساحته الإجمالية 1.193.388كلم^2 من مساحة الجزائر البالغة2.381.741 كلم [1].

ويعد هذا الموقع ذا أهمية إستراتيجية للجزائر فهو جسر اتصال ومحور إلتقاء بين الجزائر وأربع دول مجاورة لها ،مما أكسبه أبعادا اقتصادية وبشرية متميزة [2].

وتقدر مساحته الإجمالية ب :1183388 كلم^2.

ولكون مناطق الجنوب الشرقي واقعة في مناطق صحراوية،ومناخ المنطقة صحراوي جاف, مداه الحراري واسع بين النهار والليل، وبين الشتاء والصيف، تتراوح درجة الحرارة شتاء بين 1 إلى 25 درجة، وبين 18 إلى 50 درجة صيفا. وهذا التطرف في المناخ تمثله مدينة عين صالح[*]الواقعة في قلب هذا النطاق الصحراوي،و مدينة غرداية التي تزيد درجة الحرارة صيفا 45°،و10°شتاء يعتدل الجو في فصلي الربيع والخريف, وتصفو السماء في غالب أيام السنة. يبلغ الجفاف في المنطقة ذروته إذا علمنا أن معدل سقوط الأمطار في هذه الطبيعة القاسية من30 إلى 180ملم\سنويا غالبها في فصل الشتاء . باستثناء

(1) عبد الحميد عبدوس ، بشير بلاح ، قاموس دول العالم .نبذة تاريخية وجغرافية.، (د.ط)،دار المعرفة، باب الوادي ،الجزائر، 2008 ،ص 22.

(2) الهادي قطش ،عبد الرحمان احمد إدريس، المرجع السابق، ص24 .

منـــــطقة الهقار المـــاطرة صيفا ،وقد أحدثت هذه المميزات المنـــاخية تأثيرات في المـــظهر الهـــــــيدروغرافي ،إذ نجـــد أن الشبكة المائية قليـــــلة ولا تجري إلا في وقت سقوط الأمـــطار.كما تهب على المنطقة ريـــــــــــــاح شمالية غـــــــربـــــيـــــة بـــــــاردة فـــــي الشـــــتاء وجـــــنوبية غربية محملة بالـــرمال في الربيع وفي الصيف جنوبية حارة [1].

ولقد كان لتلك الظروف المناخية في الصحراء انعكاس مباشر على الأنواع النـــباتـــية المنتشرة في هذا الإقليم،و معظمها مجرد من الأوراق ،فروعها قصيرة ،وتكثر بها الأشـــــواك للـــتغلب على الجـــــــفاف والتبخر وجذورهـــــــا طويـــــــــلة بحثا عن المياه الباطنية ،رغم ذلك تحتوي الـــــصحـــــــراء الـــــــجـــــزائـــــــرية عـــــلى حـــــــوالي خـــــمسمئة نوع من النباتات. لعل أهمها الدرين والطرفة والسنط ،أما في الواحات فهناك أنواع شتـــــــى مـــــــن الـــــــنـــــباتات لعل أهمها على الإطلاق شجر النخيل المنتج للثمور هذه الأخيرة التي تعتبر غداء أساسيا للسكان،يضاف لها أنواع أخرى من الخـــــــــــضـــــــر والفـــــــــــواكه كالـــــطماطم والعنب والرمان والحمضيات .كما تشتهر تلك المناطق بأنـــــــــــواع خـــــــاصـــــــة

(*) عيـــن صالح عبارة عن واحات تمتد وسط الصحراء القاحلة تبعد عن مدينة الجزائر 1400كلم جنوبا،وهي تتألف من قصور بـــــنـــــيت عـــــــلى الـــــتخـــــوم الـــــشـــــرقـــــيـــــة لغـــــابـــــــــات الـــــــنخيل ،بجانب الكثبان الرملية،من تلك القصور قصر الزرارية، القصر الجديـــــــــــــــد، قـــــصر العرب هذا الذي يسكنه أكبر عدد من السكان المحليين ويمكن تقديرهم بألف وخمسمائة وخمسين نسمة، أنظر، الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، مرجع سابق ، ص17.

(1) الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، نفسه ص 25.

من النبات كا الحناء والتبغ والشيح وأنواع من الفطرمثل الكمأ (الترفاس) الذي ينمو بتساقط الأمطار،فالزراعة عموما محصورة في مناطق الاستصلاح المعتمد على الري بالمياه الجوفية [1].

وبالرغم من ضآلة الغطاء النباتي وتبعثره وتباعده تحتوي التخوم الصحراوية على عديد الأنواع من الحيوانات كالغزلان التي تعيش في العروق مع الذئاب وأنواع من الجرذان والشرشمان والأفاعي والزواحف المتنوعة والثعالب ولأفناك وأنواع شتى من الطيور،ويرمز للصحراء بأهم حيوان على الإطلاق ألا وهو الجمل الملقب "بسفينة الصحراء" لتحمله عناء السير في مناطقها القاحلة ،أما النشاط الرعوي فهو محدود في هذه المناطق ويقوم على تربية الأغنام والماعز [2].

أما بالنسبة للجانب البشري فان الجنوب الشرقي والصحراء عموما تمتاز بضآلة السكان برغم من شاسعة المساحة ، فينتظم السكان داخل بيئة اجتماعية ذات طابع بدوي تماشيا مع الظروف الطبيعية المتحكمة في حياتهم ، فيصنف السكان إلى صنفين هما البدو والحضر .

([1]) الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، مرجع سابق ص26.

([2]) عبد الحميد عبدوس ، بشير بلاح ، مرجع سابق ، ص 23.

كما تميزت الصحراء الجزائرية بطابع عمراني أصيل يتمثل في القصور حيث تمثل تلك القرية أو القصر[*] الخلية الأساسية للتنظيم الاجتماعي وحتى السياسي في كثير من الأحيان ، وهي في ذات الوقت مراكز تجارية وزراعية.

أما من ناحية الخامات فإن منطقة الجنوب الشرقي تحصي إمكانيات اقتصادية ضخمة وثروات ثمينة كالنفط والحديد والأورانيوم والذهب وإحتياطي كبير من المياه الجوفية (الحوض الألبي الكبير) ..وغيرها [1].

[*] القصر وهو القرية الصغيرة بالصحراء ،وهو ملتقى المجتمع الصحراوي قديما ،ينشأ عادة بالقرب من مصادر الماء وعلى حواف الواحات . أنظر : الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، مرجع سابق ص20.

([1]) الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، نفسه ، ص 20.

الجدول التالي يبين عدد سكان بعض المناطق التي شملها إحصاء الهيئات الفرنسية عام 1860 م والذي قدر عدد سكان الصحراء الشرقية والوسطى ب 450000 نسمة ويتوزع السكان في هذه المناطق على النحو التالي : [1].

أسماء النواحي	عدد المدن/الواحات	قبائل وعروش	سكان مستقرون	سكان رحل	مجموع السكان
ورقلة	7	3	14200	12000	26200
جانت	1	2	9550	–	–
تقرت	6	2	31080	2850	33930
وادي سوف	8	5	31170	1200	32370
المنيعة	2	3	12000	–	–
تمنراست	4	4	70520	–	–
غرداية	5	–	13600	9800	23400

كانت مناطق وادي ريغ من أكثر المناطق الأهلة بالسكان بالمناطق الصحراوية تربعت هذه الناحية من الجنوب الشرقي الجزائري على ما يفوق 21 واحة في كل من ورقلة ووادي سوف وتقرت هذه الأخيرة التي ضمت أكبر تجمع سكاني قدرته الهيئات الفرنسية ب33930 نسمة ، أما مدينة غرداية فضمت خمسة واحات وقدر عدد السكان

(1) احميد عميراوي ، زاوية سليم ، محمد السعيد قاصري ، السياسة الفرنسية باالصحراء الجزائرية (1844-1916م) ط1، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر 2009.ص ص98.87.

المستقرون 13600نسمة أما مجموع سكانها فبلغ 23400نسمة ، أما مناطق المنيعة وتمنراست وجانت فتميزت حسب هذا الإحصاء بنقسام الساكنة بين سكان مستقرون ورحل .

ب)- <u>تضاريس الجنوب الشرقي الجزائري</u> :

يتميزسطح الصحراء الجزائرية عموما بالرتابة والاستواء ،غير أن القسم الشرقي منها يتميز بتعقيدات اشد من القسم الغربي ، وقد مرت الصحراء الجزائرية خلال تكوينها بعدة تطورات باختلاف الأزمنة والعصور الجيولوجية ، فقد كانت في القديم كتلة صلبة وهي عبارة عن صخور أركية نارية بلورية [1]، معظمها من الغرانيت ويعد الغرانيت والرخام والذهب والفضة والنحاس والزنك والحديد والرصاص والقصدير أهم مكونات صخورها. ومعادنها وقد استقرت فوق تلك المواد طبقات سميكة من الصخور الرسوبية .وقد استطاعت الصحراء الجزائرية بفضل صلابتها أن تقاوم الحركات الإلتوائية وبمرور عصر البلاستوسين المطير بوجوه الرطب وأمطاره الغزيرة أخذت تتكون في العصور الحديثة الرواسب الرملية [2]، التي ملأت المنخفضات والأودية الجافة ، الشئ الذي لم يسمح

([1]) عبد القادر حليمي ، <u>جغرافية الجزائر، طبيعية , اقتصادية ، بشرية</u> ، ط1.الجزائر1988م، ص ص56ـ57.

([2]) عبد القادر حليمي ، نفسه ص 77 .

للـــــــمياه بالتســـــرب بل تجمدت في جوف الأرض وخرجت على هيئة ينابيع ، وهو ما نلاحظه اليوم بالواحات.

مـــن خلال ذلك يتبين لنا أن هناك عوامل متنوعة شكلت سطح الأرض ، فالصحراء الجزائرية ومـــــــــنها الجنـــــــــوب الشـــــــــرقي شهـــــــــدت حـــــــــركـــــات تصدع وانـــــــكســـــارات وتـــوارث بركانية بـــالإضـــــــافة إلـــــى عمـــــــلية الـــــنحت ، فـــــــهذه العـــــــوامل مجتمعـــــة رســـــمت مـــــظاهـــــر السطح العامة بالـــــــــجـــنوب الجـــــــــزائري مـــــــــن منخفضات وكـــــــثبـــــــان رمـــــلية وهضاب وسلاسل جبلية متقطعة هنا وهناك[1].

وأهـــــــم ما يمكن أن نلاحظه في إقليم الجنوب الشرقي من مظاهر تضاريسية يمكن حصرها فيما يلي:

- ✓ 1/ **الـــــــمرتفعـــــات والهـــــضاب** : تـــــتجلى هـــــــــــــذه الـــــــــمـــرتفعات بشكل خاص في جبـــال الهقار وحظيرة التاسيلى ،تتميز بتكوينها الجيولوجي القديم ذي الأصل البركاني.

تـــــــعتبر قـــــــــمة تـــــــــاهات أتـــــاكور أهـــم قممها والتي يـــقارب ارتفاعها 3303متر وهي بذلك أعلى قمم الـــجزائر إلى جانب ذلك يـــــــضـــم الجنوب الشرقي مجموعة من الهضاب كهضبة تادميت بعين صالح والمنيعة وهضاب التاسيلي المتقطعة ذات الامتداد الشاسع [2].

([1]) احميد عميراوي وآخرون، مرجع سابق، ص89.

([2]) عبد السلام بوشارب ، الهقار أمجاد وأنجاد ، ط1، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر،1995م ص ص 33.32 .

- ✓ **2/ المنخفضات والمناطق الرطبة** : تشمل تلك الأراضي الواسعة التي يشغلها الجنوب الشرقي،تغطيها في الغالب كثبان رملية بها منخفضات،تمتد في أجزاء كبيرة من الإقليم الجنوبي الشرقي ،أهمها منخفض بسكرة وشط ملغيغ ووادي ريغ ووادي ميا (*).
- ✓ **3/ الحمادة** :وهي مساحات واسعة من الصخور الجيرية ممتدة في شكل صفائح طبقية ، يمكن البناء وشق الطرق فوقها، ومن أهم الحادات في الجنوب الشرقي حمادات تادمايت التي ترتفع عن مستوى سطح البحر836م[1] ، والتي تبدأ من جنوب مدينة المنيعة مرورا بعين صالح بطول 400 كلم.
- ✓ 4/ **العرق أو الصحراء الرملية** :وهو سطح تغطيه كثبان رملية متحركة ، ويوجد في الصحراء الجزائرية العرق الغربي الكبير الذي يمتد من بني عباس غربا حتى هضبة المنيعة ، وعرق شاش في الجنوب الغربي من حدود الجزائر مع مالي وعرق إيجدي بين الجزائر وموريتانيا، والعرق الشرقي الكبير الذي يمتد من وراء الحدود الجزائرية التونسية ويصل إلى مشارف منطقة

(*)هو مجموعة من الأودية تنبعت روافده من غرب إفريقيا، تنحدر تلك الأودية نحو خليج قابس إلى البحر الأبيض المتوسط ،ينبثق فرع منه من أسفل بحيرة التشاد ويشق طريقه نحو النيجر إلى منطقة جانت ليلتقي مع روافدها ويشق طريقه نحو ورقلة وتقرث ليلتقي مع الأودية القادمة من نواحي عين صالح. أنظر، عبد الرحمان حاجي ، مرجع سابق ، ص.58.

([1]) الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس، مرجع سابق ، ص 25.

وادي ريغ،تبلغ مساحته 19000كلم،وهو رباعي الاضلاع500كلم×300كلم ،أعلا قممه الرملية380م [1].

- ✓ **5/الرق:**وهي مناطق واسعة مستوية السطح،تغطيها الرمال الخشنة والحصى، وبعبارة أخرى هو سهل صخري يتواجد مثلا في المناطق الواقعة بين ورقلة وغرداية [2].
- ✓ **6/ الاودية الصحراوية :** وهي التي تجري إلى الجنوب من سلسلة الأطلس الصحراوي تصب في بعض الأحيان في الشطوط وأحيانا تختفي وسط الرمال ،ليس لها جوانب مضبوطة ولا حدود معينة وعديمة الانتظام وفجائية الفيضانات ،كما أنها من نوع الأودية المهاجرة، ومن أودية الجنوب الشرقي وادي ميزاب ووادي مئة ووادي ريغ و تلك الأودية المنحدرة من جبال الهقار وتظهر في شكل شبكة أودية من أهمها :وادي تمنراست وأغراقار ،ووادي تافاسست الذي يربط قلب الهقار بالنيجر[3]،تتميز أودية الهقار بفيضانها في فصل الصيف لأن الأمطار تنزل في هذا الإقليم في فصل الصيف .وبسبب عدم انتظام جريانها تطلق عليها تسمية الأودية الكاذبة.
- ✓ **7/ الواحات :** هي مساحات خضراء وسط الصحراء القاحلة ،غنية ببساتينها ونخيلها، يتمركز معظمها في الشمال الشرقي للصحراء

([1]) احميد عميراوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 25 .

([2]) إسماعيل العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1983 ، ص 86 .

([3]) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص35 .

الجزائرية ، نذكر منها في الجنوب الشرقي واحة تقرت . وادي ميزاب . واحة المنيعة [1].

تلك هي أهم ملامح التضاريس بالصحراء الجزائرية عموما مع تركيزنا على منطقة الجنوب الشرقي محور دراستنا ، ولا شك أن هذا الوضع الجغرافي له انعكاس مباشر على المناخ.

ج)- سكان المنطقة أصولهم وتسمياتهم:

يتميز سكان الجنوب الجزائري عموما بخصائص اجتماعية تختلف عن تلك التي يمتاز بها سكان شمال الجزائر ، واهم ميزة أن المجتمع قبلي ، إلى وقت قريب كان اغلبهم رحل ،كانت المنطقة آهلة بالسكان منذ القدم [2].وسنحاول فيما يلي التطرق لأهم وأقدم التجمعات السكانية بالجنوب الشرقي .

1/ - **قبائل وادي ريغ:** تمثل منطقة وادي ريغ والتي تضم مناطق ورقلة[*]، وتقرت وأجزاء من وادي سوف المحور الأساسي للأحداث الاجتماعية والاقتصادية فهي وحدة جغرافية وبشرية وتاريخية تغلب عليها عادات وتقاليد تختلف عن كثير

([1]) الهادي قطش ، عبد الرحمان احمد إدريس ، مرجع سابق ، ص 25 .

([2]) احميد عميراوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص9.

(*) مدينة ورقلة تنسب تسميتها إلى آبي يوسف الو رجلاني تبعد عن الجزائر العاصمة ب 800كلم.(هيئة التحرير) انظر مجلة الاصالة ، الصادرة عن (وزارة التعليم الأصلي والشؤون الرئسية)، الجزائر، العدد 41 ، 1977،ص 6 .

من المناطق المجاورة لها[1].تم لاحتضانها لحضارات إفريقية وأمازيغة وعربية،لكن الماضي القديم لهذه المنطقة ورغم الأهمية التي اكتسبها والتطورات التي عاشها و الدور الاجتماعي والاقتصادي الذي لعبته منطقة وادي ريغ بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ضل مخفي في أغلب الفترات[2]، ومن خلال تحليلات كتابات" هيرودوت وهاتون" عن هذه الجهات الصحراوية أنه قد سكنها الليبيون القدماء والأتيوبيون والجيتوليون[3]،كما أضاف إليهم بعض المؤرخين قبائل "زيفون" وإفوراس ،وماسوفا ،كذلك تواجد شعب "الغرامانت" الذي أسس مملكة "غراما"في شمال شرق الصحراء،كما ربط القرطاجيون علاقات تجارية مع سكان المنطقة ، وبعد سقوط قرطاج عام 146 قبل الميلاد على يد الرومان بدأت سياسة التوسع الروماني تظهر بالمنطقة، فجابوا أرجاء الجنوب الشرقي للجزائر وتوجد شواهد تسجل حضورهم بالمنطقة [4].

حل بالمنطقة قوم من البربر بأهاليهم في حدود سنة 522ه /1129م ،وكان دخول الإسلام

([1]) عبد الرحمان حاجي ، ورقلة تاريخ وحضارة ، (د.ط)،دار الشروق للطباعة والنشر، الجزائر،2010، ص71.

([2]) ابراهيم بن محمد الساسي العوامر ، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف ، تعليق الجيلالي بن ابراهيم العوامر ط1، الدار التونسية للنشر ، تونس ،1397ه/1977م ، ص54.

([3]) إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837.1934م، ط1، دار هومة ، الجزائر،2005م ص 152.

([4]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 156 .

المنطقة في عهد الصحابي عقبة بن نافع عندما عين حسان بن النعمان لقيادة جيش يفتح به المناطق الممتدة ما بين بسكرة وورقلة، ويذكر الرحالة المغربي الإدريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،أنّ ورقلة قد كانت في مستوى حضارة وثقافة وازدهار سجلماسة،أما أبو عبيد الله البكري قدم توضيحات وافية عن مدينة ورقلة وسماها في كتابه "المسالك والممالك " وباسم ورفلان وأنّ بها سبعة قصور[1] .

عرفت مدينة ورقلة بعديد التسميات منها ورفلان وآدي سلان وأمركلا ،وأركلة وأوركلي[2].

ويذكر الرحالة الحسن الوزان (*)،بأن ورقلان مدينة جد قديمة أسست من طرف نوميديين ، لها سور قديم، وبها منازل جميلة حولها بساتين ، وصدرت منتجاتها

([1]) إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص ص158-157

([2]) عبد الرحمان بن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأوالخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، لبنان ، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر،1969 م ، ص 254 .

(*) ولد محمد الوزان الفاسي والمعروف عند الغرب بليون الإفريقي سنة 1495م وتوفي 1550م بالمغرب الأقصى. أنظر، إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص190.

(**) ولد العياشي1628م بالمغرب له كتاب في الترحال تحت اسم رحلة العياشي ، كانت وفاته بمرض الطاعون سنة 1679م ودفن بالمغرب الأقصى .أنظر، إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص158.

نحو القيروان وتفيلالت وبلاد السودان.كما وصف العياشي (**)المنطقة أثناء رحلته إلى مكة المكرمة سنة 1653م بعدما مر بسجلماسة وتقرت وورقلة وصولا إلى مصر فيقول " هي واحة كان أهل المغرب يمرون بها في طريقهم إلى حج بيت الله، ولا نعرف تاريخ تأسيسها بالضبط ،كان بها شيخ يسمى الورقلي ،فسميت المدينة باسمه ،أما سكان المنطقة فهم الزناتة وبنو سنجاس وبنو فران..." [1].

خلال العهد العثماني1518 /1830م لم تعرف مدينة ورقلة حكما عثمانيا واضحا في بداية الأمر،عدا تلك الزيارة التي قام بها صالح رايس الباشا الثالث لقسنطينة عام 1555م ليجمع الجباية من أهل المنطقة ،وكانت أغلب المناطق الصحراوية في عزلة تامة عن العثمانيين بالجزائر،لكن في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أصبحت المنطقة تابعة اسميا وصوريا لنفوذ شيخ العرب الممثل لباي قسنطينة بالصحراء، وبحلول سنة1791م قدم صالح باي حاكم بايلك الشرق من قسنطينة إلى منطقة تقرت ومعه ستة

(1) عبد الرحمان حاجي ، مرجع سابق ، ص ص83،80 .

ألاف فارس لإخضاع المنطقة،وعيـن الشيخ محمد بن الشيخ الحاج أحمد واليا على كافة مناطق وادي ريغ [1].

2 /- أصل التوارق ولهجتهم :

منذ القدم شكلت الصحراء الكبرى موطن استقرار المجتمعات البشرية الأولى في إفريقيا. و يعتبر التوارق(*)من أقدم القبائل التي قطنت في أقصى الجنوب الجزائري وهم سكان أصليون تضرب جذورهم في أعماق التاريخ. شهد هذا الإقليم من الصحراء نشوء حضارات إنسانية عريقة منذ التاريخ القديم بحكم الموقع الاستراتيجي ، كون المنطقة كانت همزة وصل بين حوض المتوسط وبلاد السودان [2] .

بالإضافة إلى احتكاك المنطقة المبكر بالحضارات العتيقة لاسيما حضارة مصر العليا والمعروفة بحضارة (النوبة) ، قامت الحضارة الترقية على ضفاف بحيرات الصحراء الكبرى وحظيرة الطاسيلي ،ولا تزال الدراسات الانتروبولوجية تكشف روائع هذه الحضارة

(*) التوارق قوم لهم خصال عرفوا بها منذ القدم ، يقول عنهم ابن حوقل (أن هؤلاء القوم فيهم الشجاعة والإقدام والفروسية ، وخاصة على الإبل ولديهم الخفة والجري والشدة في الحرارة وأنهم في ذلك أحسن من غيرهم ...) ، أنظر عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 5.

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص ص 513- 514 .

([2]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص ص 513- 514 .

وتفك معالم ودلالات تلك الرسومات والنقوش الحجرية التي نقشها إنسان تلك المنطقة منذ الألف العاشرة قبل الميلاد، وهو ما أشار إليه المؤرخ اليوناني "هيرودوت" في كتاباته التي أشار فيها إلى حضارة الطاسلي ،وذكر أن أصل التوارق من جنس " المازيك"[1]، بينما يقول بعض المؤرخين أن أصول التوارق بربرية وهم ينحدرون من قبيلة صنهاجة ولقبوا بالملثمين، وهو ما ذهب إليه ابن خلدون في تاريخه حينما سمى سكان تلك المناطق ب "أرهكاره"ويرجعها إلى كلمة "هوارة " وهي إحدى قبائل المنطقة التي هاجرت بعد فترات من الجفاف نحو النيل بمصر،حيث يقول بن خلدون عن الملثمين : ((هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ..)) .أما ابن حوقل وابن بطوطة فيجمعان على أن التوارق قبائل بربرية من أقدم سكان المنطقة و تجتمع القبائل التارقية في شكل مجموعات واتحادات، تضم كل مجموعة عدة قبائل ،ولكل قبيلة أتباعها[2].

([1]) عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 13.

([2]) عبد الرحمان ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص370 .

استطاعت هذه القبـــائل على مــر العصور المحافظة على تماسكها ونقاء عناصرها و تنقـــســـــم تلك القـــبائل إلـــى أربـــــع مجـــــموعات كبـرى وهـــي :توارق الهـــقار ويسـكنون بالهـــقار تـــــــوارق أزقـــــــر إيـــفووغـــاس ويـــــقـطـــنون بالطاسلي وجبل غات ،توارق كلوي وماويديرن بجبال سكـــمارة ،وتـــــــوارق عـــــوليـــمـــنـــدن شـــــرقي مدينة تمبكتو [*]،تتقاسم هذه القبائل أراضي الـــــــــهقار والطاسلي تربطها في علاقات عائلية ترتكز في النواحي التي تتوفر على الماء والكلأ .

يتلكـــم الـــــــتوارق لهـــــجة بـــــربـــــريـــــة قـــــديـــمـــــة تســـــمى "تـــــــماهاك " أو تماجاك .أما حروفـــها الأبجدية فتسمى "التيفيناغ "[1].

3/- بـــــــنو ميزاب :

تعتبر قبيـــــلة "لماية"أولى القبائل الحاضنة للمذهب الإباضي في المغرب الأوسط عندما نزل بينهم عبـــــد الـــرحمان بن رستم قادما من المشرق العربي بعد معانات طويلة هناك هذا الأخـــير شـــاع أمـــره وكثر أنصاره فعمـــد إلى تأسيس إمارة إباضية في سنة 776م وإتخذ من تيـــهرت،عاصمة دامـــت قـــرابة

---

[*] تمبكتو إحدى المدن الإستراتيجية والحيوية تقع على ضفاف نهر النيجر،ويقال ان اسمها مشتق من بئر بكتو وهو اسم لامرأة تارقية،وبفضل مـــــــوقعها الإستراتيجي شكلت سوقا تجارية صحراوية للتجار من مختلف الجهات وخاصة من مصر وفزان وغدامس وتوات وفاس وبلاد السودان ،ولقد طرأ على المدينة العديد من التغيرات عبر المراحل التـــــــاريخية أنظر ، العربي ، الصحراء الكبرى وشواطئها ، ص 316.

([1]) إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص515 .

قـــرنا وثـــلاثين عـــاما [1]، لكن نهـــاية دولـــتهم على يـــد الفاطمين سنة 776ه/909م عجـــــّل بانتقال الـــــرستميين جـــــنـــوبـــــــا،فـــــحلّو في بادئ الأمـــــــــر فـــــــي شـــــــــــكل مجموعات بورجلان ،لكن المكان لم يرق لهـــــــــــم ،فلتجو إلى بـــــلاد الشبكة قرب مجرى وادي كبير فسكنوه وعمّـــــروا به في حدود971م فـــــي غارداية . وعدّد ابن خلدون أصولهم وقبائلهم الأولى فيقول:((وقصور مصاب (ميزاب) ســكانها بهذا العهد شعوب بني بادين من بني عبد ألواد وبني تجين ومصاب وبني زردال فيمن إنضاف إليهم من شعوب زناته...)) [2].

أمـــــا الشيخ أطـــفيش فيـــقول :((أن من بني مزاب من جاؤوا من جربة و نفوسة ،كما توجد عائلات عربية استوطنت بوادي ميزاب ...)).[3].

وكانت الصحـــــراء قـــــد شـــــهدت خـــلال العصور الوسطى وبداية العصر الحديث مدا إسلاميا واســـعا عـــن طريـــــــــــق تجار وسكان المغرب وصعيد مصر، وتوافد عليها العنصر العـــــــربي ،ولـــــعب الـــــمرابطـــون والموحـــــدون دورا هاما وبارزا في نشر الدين الإسلامي حتى أعمـــــاق الصحراء،فوفد بـــــذلك مـــــــع هـــــــؤلاء إلى تـــــلك المنـــــاطق قبائل وعائلات سكنت تلك الجهات لعل أهمها: بنو هلال و سليم وأولاد سعيد والشعانبة والماضي ...غيرها.

([1]) شارل روبير أجرون ، المجتمع الجزائري في مخبر الإيديولوجية الكولونيالية ، ترجمة وتقديم وتعليق ، محمد العربي ولد خليفة، ط1، منشورات ثالة ،الجزائر/2010 . ص 19.

([2]) عبد الرحمان ابن خلدون ، مصدر سابق ، ص 321

([3]) امحمد بن يوسف اطفيش ، رسالة في بعض تواريخ أهل ميزاب ، نسخة مصورة لمخطوط بمكتبة أبي إسحاق اطفيش لخدمة التراث ، غرداية ، رقم47 .

2)- الاحتلال الفرنسي لمدن الجنوب الشرقي

أ)- البعثات الإستكشافية الأولى للصحراء الجزائرية:

تعتبر الصحراء الإفريقية الكبرى بما فيها الصحراء الجزائرية مصدر اهتمام لدى الأوربيين منذ أن خرجوا من قارتهم في العصر الحديث بنية الكشوفات الجغرافية وما تلاها من استعمار، فقد حلم الأوربيون دوما بكشف أسرار هذا العالم الخفي عنهم،فكانت أولى بدايات توغلهم خلال القرنيين 18 و19م . وقد أحصت الكتابات التاريخية معلومات عن هذه المناطق من طرف رحالة عرب ومسلمين أمثال ابن بطوطة وابن خلدون ،أبن حوقل، والعياشي [1]، استند إليها الأوربيون في عملياتهم الإشتكشافية للصحراء.

فالفرنسيون مثلا قد واجهوا صعوبة بالغة في التعرف على الجزائر حتى قبل احتلالها، فأرسلت العديد من الطلائع الاستكشافية للجزائر تحت غطاءات مختلفة تارة باسم التجارة ،وتارة باسم السياحة

(1) عبد الرحمان حاجي ، مرجع سابق ، ص ص80- 88 .

،وتـــــــــــارة أخرى بـــــهدف تجسســـي. ومـــــا الـــــدور الذي قام به الضابط "بـــــــــوتان "[*].عندما كلفه وزيـــــــــر البحـــرية بالتوجه إلى مدينة الجزائر لجمع معلومات حـــول إمكانيتها الدفاعية إلا دليلا على ذلك.لـــكن بعد احتلالهم للجزائر 1830م، وسيطرتهم علـــــى المناطـــــق الشمالية بقيت الصحـــــــراء مجهـــــولـــــــة بـــــالنسبة لهـــــم [1]،لكنهم سرعان ما اهتدوا إلى الاهتمـــــــــام بهـــــا عـــــــن طـــــــريـــــق الـــــــبعـــــثات الإشتكشافية تمهيدا لولوجها ،مستندين إلى جملة من الـــــــــدراسات حـــــــــول تلـــــك الـــــمنـــــــاطق عـــــلى غـــــــــــــرار مـــــا قـــــامـــــــت به الـــــــجمعيـــــــة الإفـــــريـــــقـــــيـــــــــــــة " The Africain.Assosiation"والـــــــتـــــي تـــــــأسســـــــت سنـــــة 1788م وبـــــرز فـــيها المستكشف مونـــغوبارك Mongo) (Parkالأســـــــكتـــــلانـــــــدي، والـــــــذي أنـــــــجز عملا علـــــميا قدم فيه معلومات هـــــــــامـــــــــة وجـــــــــديـــــــــدة حـــــــــول رحـــــلـــــتـــــه الـــــمـــــتـــــعـــــلقة بالحضارة الـــــــــصحـــــــــراوية وإفـــــريقيا واستطاع أن يصحح تلك المفاهيم الخاطئة

---

[*] ضابط فرنسي تم تعيينه فـــــي هذه المهمة الخطيرة بأمر من نابليون بونابرت الذي كان يتطلع لاحتلال الجزائر لولا الظروف الصعبة التي عرفـــتها فرنسا وقتها ،وصل إلى الجزائر يوم 24 /1808/05م على مـــــتن سفينة تسمى لوركان .اعـــد تقريـــرا مفصـــلا عـــن الجـــــــــزائر .وقـــــــــع في الأســـــــــر من طـــــــرف البريطانيين لكنه بعد إطلاق سراحه نقل ما دّونه حول الجزائر إلى حكومة بلاده. أنظر ، إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص211.

([1]) أبو القاسم سعدالله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)م، مج6 ، ط1، بيروت ،1998م ، ص 74.

والعالقة بالذهنية الأوربية عن المناطق الداخلية من القارة الأفريقية [1].

كما برز في 1825م المغامر الشهير النقيب غوردن لان"Gordon.lang " الذي انطلق في رحلته من طرابلس، وحاول الوصول إلى مدينة تمبكتو قلب الصحراء، مرورا بالمجتمع التارقي ، مستندا إلى دليل من تلك المناطق اسمه الشيخ باباني هذا الأخير كان يتمتع بمركز ديني هام في طرابلس، بالإضافة إلى ذالك برزت اهتمامات الفرنسي" رينيه كاييه"(Rene Caille) الذي وصل إلى مشارف تمبكتو في 20 أوت 1828م [2].

ويعتبر بذالك رينيه من أوائل المغامرين الفرنسيين الذين توغلوا إلى أعماق الصحراء مقدما معلومات للجهات الفرنسية المهتمة باحتلال الجزائر عن الوضعية الجغرافية والتفافية أعراف وطرق معيشة السكان هناك.

تلك المعطيات المتوفرة عن الصحراء الجزائرية رسمت الخطط الحربية للتوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري ،فبعد سقوط مدينة الجزائر وتوقيع معاهدة الاستسلام أولى الفرنسيون اهتماما كبيرا للتعرف على المناطق الداخلية [3]، لذلك وضع الضابط

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص407 .

([2]) إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص 403.

([3]) فركوس صالح ، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ الى غاية الإستقلال(المراحل الكبرى)، ط1، دار العلوم ، عنابة الجزائر، 2002م ، ص 45.

الفرنسي كاريت(Carette) من خلال لجنة الاستكشاف العلمي للجزائر خلال سنوات 1840. 1841. 1842م دراسة للطرق التجارية بالجنوب الشرقي ، انطلاقا من تونس ووصولا إلى منطقة الواحات ،ولرصد حركة التجارة بين القطرين ، وقد جمع معلومات عن 38 قرية في وادي ريغ .

كما تعتبر بعثة الرحالة الفرنسي براكس (Prax)في شهر نوفمبر 1847م رفقة تجار من وادي سوف دافعا جديدا لاكتشاف الجنوب ، وتمهيدا لخدمة مصالح التجارة الفرنسية بالمنطقة [1].

أما في سنة 1850م فقد طاف الرحلة الفرنسي أدريان بيربروجر (A.Berbrugger) بالواحات الجزائرية وقدم مذكرة في شأن رحلته هذه بهدف تدعيم إكتشافات الحكومة الفرنسية للجزائر، وفي نفس السنة وضع "شيربونو" (Cherbonneau) .موجزا تاريخيا لأمراء وادي ريغ.

ومع حلول سنة1859م كان الباحث "كوسون" ينضم رحلات إلى الجنوب الجزائري بدعم من وزارة الحرب الفر نسية التي كان على رأسها الماريشال فايان(Vaillant)وشملت تلك الرحلات معظم الصحراء الجزائرية[2].

([1]) يوسف بن بكير الحاج سعيد ، تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية ، ط2 ، المطبعة العربية بغرداية ، الجزائر،1427ه/2006م ، ص ص1-2 .

([2]) أبو القاسم سعدالله ، مرجع سابق ، ص 132 .

ولعل أشهر البعثات الاستكشافية للجنوب الجزائري تلك التي انطلقت من سكيكدة يوم 08ماي 1859م،رأسها دوفيرييه(*) (Henri Duveyrier) توجه في البداية إلى بسكرة عبر قسنطينة وباتنة ،وما لبث أن غادرها يوم 13 جوان ليصل إلى مدينة القرارة بوادي ميزاب بعد خمسة أيام من السير،ثم دخل مدينة غرداية يوم21 جوان [1]،وإتجه بعدها إلى مدينة متليلي عّلـه يلقى بعض التوارق ليساعدوه في اكتشاف بلادهم ، في يوم 28 أوت غادر "دوفيرييه " متليلي نحو المنيعة جنوبا ليصلها يوم الفاتح سبتمبر، لكنه لم يجد الترحاب في المدينة ليرجع إلى مدينة غرداية ومنها إلى الأغواط، وفي نوفمبر 1859م عاود الرجوع من ناحية تقرت وواصل اكتشافه لوادي سوف 1860 م، وشق طريقه نحو منطقة الجريد في الجنوب التونسي .

بعد هذه الرحلة أبرق الوالي العام للجزائر إلى المستكشف "دوفيرييه " بأن يجهز نفسه ويحل ببلاد الثوارق في أقصى

(*) ولد في مدينة باريس سنة1840 م ، درس التجارة في ألمانيا فترو 1855-1857م ، سيطر على شخصيته حب المغامرة واكتشاف المناطق الصحراوية ، وفي نهاية سنة1857م ، قام بزيارة إلى الجزائر تعرف خلالها على الهضاب العليا والأغواط والأوراس ، تم عاد إلى بلده ، وفي سنة 1859م ، قرر العودة إلى الجزائر من جديد ، ومنها توجه إلى مدينة المنيعة في أول استطلاعاته للصحراء الجزائرية ، أنظر ، إسماعيل العربي، مرجع سابق ، ص 84.

([1]) زكرياء مفدي ، أضواء على وادي ميزاب ماضيه وحاضره ، دراسة وتحقيق :إبراهيم بحاز ، ط2 منشورات ألفا ، الجزائر،2010م ص69.

الجـــــــنـــــــوب الشـــــــــرقـــــــي من أجل ربط علاقات بينهم وبين فرنسا وقدم له الدعم الكافي للقيام بتلك الرحلة [1].

وفي الأيـــــــــــــام الأولى مـــــــــن شهـــــــر أوت 1860م وصـــــــل إلى مدينـــــــة غـــــدامـــــس(*). و بها واصل طـــــــــــريقه إلى الهقـــــــار، وفـــــــــــي شـــــــــهر ديسمـــــــبر مـــــــن نفس الـــــسنة عـــــــــاد أدراجه إلى مدينة الجزائـــــــــــــر بعدما أصيب بمـــــــــــرض ،ولخّص "دوفيرييه " رحلـــــــته إلى الـــــــتوارق في كـــــتاب أسماه توارق الشمال (Les Touareg du Nord) [2]

ب)- **وصول الإستعمار العسكري إلى الجنوب الشرقي الجزائري:**

كـــــــــــان وقع احتلال مدينة الجزائر واستســـــــــلامها للفرنسيين في 5 جويليـــة1830م كبيرا على أهل الجـــــنوب الجزائري، إذ ترك في نـــــــفوسهم الاضـــــطـــــــــراب والهلـــع ، و عاشت المنطقة بأكملها في حروب واضطرابات دامت سنوات ، إذ تغلبت لـــــغة الصـــراع على السلطة وعلى الأوضاع السائدة يومئذ ، ودب الخلاف والتنافس في نفوس رؤساء القبائل.

وشـــــــرعـــــــت فرنســـــــا مبـــــــــــــاشـــــــرة في عملية الاستـــــــكشاف ، لأن الجـــــــــــزائر صـــــــــارت مـــــــن الممتلكات

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص422 .

(*) غدامس إحـــــدى المـــــــــــدن الحيوية والإستراتيجية ، تقع حاليا على الحـــــــــــدود الليبية الجزائـــــــرية ، ونظر لمـــــــوقعها الجغرافي وغناها فإنها شكلت قاعدة تجارية وعسكرية عبر المراحل التاريخية التي مرة بها ، أنظر :إسماعيل العربـــي، مرجع سابق ص135 .

([2]) إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص 426 .

الفرنسية كما أعلن الملك لويس فيليب سنة 1834 ، وتقرر في عام 1840 احتلال البلاد كلها ، وعين الجنرال بيجو حاكما عام (1841) فاستهل حكمه بتطبيق الاستيطان الرسمي في مختلف أنحاء البلاد بما فيها الجنوب [1].

1/- احتلال منطقة وادي ريغ :

لم يكن وصول الاستعمار الفرنسي إلى الجنوب الجزائري إلا في حدود 1837م،أما احتلال منطقة وادي ريغ فهي حلقة من حلقات التوسع الفرنسي نحو الداخل،لا سيما أن هذه المنطقة عرفت بأهميتها الكبيرة لنفوذها الواسع بالجنوب عبر فترات من التاريخ، لذلك كان اهتمام الفرنسين بها ضمن اهتمامهم الواسع بالجنوب الجزائري من جهة ،ولكون المنطقة أصبحت مأوى للمقاومين خاصة بعد ثورة الزعاطشة من جهة ثانية ،وكان دخول القوات الفرنسية إلى مدينة ورقلة سنة1853[2].

بعد أمرية الولي العام للجزائر في شهر ماي1854م بفرض حصار اقتصادي على منطقة وادي ريغ ،استسلم أعيان المنطقة ،وهنا تشير التقارير الفرنسية العسكرية إلا

([1]) إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص 86 .

([2]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، 176 .

أن أعيان مدينة ورقلة – وهم عبد القادر بن كريما والحاج بن الحاج معيزة والحاج محمد والحاج بوقلة – قد خضعوا للسلطة الفرنسية وجاءوا إلى البيض يوم 11 سبتمبر 1854 لدفع الضرائب لخليفة الصحراء المعتمد من طرف فرنسا وهو" سي حمزة"[1].

لكن ذلك لم يمنع من ظهور مقاومة مستبسلة بالمنطقة تزعمها الشريف محمد بن عبد الله، لكن القوات الفرنسية لاحقته وحاصرته فأضطر إلى الفرار نحو منطقة الجريد التونسية [2].

كما وصلت القوات الفرنسية في تعداد قدره 250 جنديا نظاميا 2400و جنديا احتياطيا إلى مدينة تقرت أواخر شهر نوفمبر من سنة 1854م، وفي يوم 29 من نفس الشهر وصلت القوات الفرنسية موقع" المقارين"(*)،تحت قيادة "مارمييه " وسط مقاومة شديدة من سكان المنطقة والذين التحقت بهم جموع من ورقلة ووادي سوف تحت قيادة الشيخ سلمان ومحمد بن عبد الله الشريف ، ووقعت معركة دامية بالسيوف والبنادق بين الفريقين خلفت عشرة قتلى وثمانية وثلاثين جريحا في صفوف الفرنسيين وأكثر من 400 شهيد جزائري ، فتفرق الناس في الشطوط والوديان وغابات النخيل والشعاب ، وفرّ الشريف وسلمان نحو وادي سوف ،واعتبرتها السلطات الفرنسية

(1) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، 176 .

(2) صالح فركوس، مرجع سابق ، ص 253.

(*) المقارين ، هوموقع تلتقي فيه الطرق بين سوف وتقرت وورقلة . أنظر:عبد الرحمان حاجي ، مرجع سابق ص56.

نصرا باهرا لـــها لتجسيد تواجدها بالمنطقة [1]، وفي يـــــــوم13 ديسمبر1854 دخلت القوات الفرنسية وادي ســـــــوف تحت إمـــــــرة "ديفـــــــــــو" ،ولـــم تـــلـــــق مـــقـــــــــاومـــــة لـتلقيها ضربة موجعة في موقعة المقارين، كون معظم سكان الناحية شاركوا في تلك المـــــوقعة[2].

2/ - احتـــــــلال مـــنطـــقـــــتـــي غـــــــردايـــــة والـــــمـــــنـــيـــعـــــة:

- توقيع معاهدة الحماية على بني ميزاب 1853:

مـــــنذ احـــــتـــــــلال مـــدينـــــة الأغـــــــــــواط سـنة 1853م واســـتقرار القوات الفرنسية بها أصبح الجـــــــنوب مـــكشـــــوفا ،فتشـــــجعت فرنســا للتقدم أكـــثر وإتـــخاد نـــفس الأسلوب الـــــذي تـــعرضت له مـــــدينـــــة الأغـــــــواط التي استباحها الجنـــــود الفرنسيون،لـــــــذلك لجـــــأ بنو ميزاب إلى الموافقة على إقتـــــــــراح الولى الـــــعام للجزائـــــــر "رانـــــــدون" و إمضـــــاء معـــــــاهـــــــدة حمـــايـــــــة معـــهم في 22 رجب 1296ه/ 29 أفريل1853م تعهـــــــدت لهـــــم فيـــــهـــــا فـــــرنـــســـــا بحـــــفظ بلادهـــم واحـــترام معتقداتهم وعـــــوائدهم

(1) إبراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص179 .

(2) إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص175 .

،وقد وقّع على المعاهدة خمسة من أعيان المدينة،وعن الجانب الفرنسي وقّعها "دوباري" باسم الوالي العام للجزائر الماريشال "راندون" [1].

- احتلال القليعة (المنيعة)1873م:

كان احتلال مدينة القليعة [*] بعد ثورتي أولاد سيدي الشيخ و بوعمامة،حيث كان موقعها الإستراتيجي قاعدة هامة للثوار لعقد تجمعاتهم للسكان الصحراء.وقصد السيطرة على هذه المنطقة غادر في يوم 13 جانفي 1872 طابور عسكري مدينة الأغواط قاصدا مدينة المنيعة عبر منطقة ميزاب، في هذه الأثناء قامت السلطات العسكرية الفرنسية بإرسال بعثة استكشافية عسكرية إلى المنيعة قادها الجنرال"قاليفيه" من أجل مراقبة أوضاع المنطقة لذلك تجمعت قوة هائلة خلال شهر ديسمبر 1872 بمدينة بسكرة قدّر عدد أفرادها بحوالي سبعمائة رجل[2]،وتحركت يوم

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص .108.

(*)هي مدينة (المنيعة حاليا) سميت بالقليعة نسبة إلى القلعة الحصينة (القصر) والمتواجدة بأعلى جبل في المدينة، تقع وسط الصحراء تبعد عن الجزائر العاصمة 910 كلم ،وعن مدينة غرداية ب270كلم جنوبا.تمتازبموقعها الإستراتيجي كونها تتوسط الجزائر، مما جعلها همزة وصل بين عدة أقاليم بوسط الصحراء، دخلها الاستعمار الفرنسي بالاقتحام العسكري.سنة1873م، وأطلق عليها المستعمر تسمية القولية (ELGolea) أنظر: إبراهيم مياسي ،المرجع السابق، ص 335.

([2]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص 385.

20 ديسمبر قاطعة مسافة 600 كلم مـــــــا بـــين بسكرة والمنـــيعة التـــــــي وصلتها البعثة يوم24 جانفي 1873م،وخضعت بذلك المـــــــنطـــــــقـــــــة للنـــــــفـــوذ الفرنسي .وفـــي فترة1891-1892م كان الاســتقرار النهائي للقوات الفــرنسية في المنيعة وإتخدت من ثكنة عـــــــسكرية مقرا لها، كـــما أقامت في نفس الســـنة برجا للمراقبة على بعد 150جنوب المدينة بمنطقة الشبابة [1].

- الإلحـــــــــاق النهـــــائي لمـــــــنطقـــــة مـــيـــزاب 1882 م:

علـــى خلفية أعمال شغب شهدتها مديـــــــنة غـــرداية بعد تعيين أغا يهوذي على ميزاب يمثل سلطـــــــات الاحتـــــلال، تلـــــقى الجنـــــرال دولاتور دوفرنيى (De la tour Dàuvergne) في26 أكتوبر1882م برقية مـــــن الـــوالي العـــام لويـــــس ترمـــــان (Louis tirmane) ، يأمره فـــــــــيها بتجهيز حـــــــملة عسكرية والذهـــاب بهـــــا إلـــى ميـــــــزاب لإعـــــــلان إلحـــــاقـــــه . واشتملت هذه الـــــــــحملة على 1175 ضابط وجندي معهم 500 فرس و1851 بعير تحمـــــل مئـــــــونـــــة شـــهـــر كامـــــــــل ،وصلـــت الحمـــلة إلـــى مـــــيزاب يوم 17 نوفمبر،وقـــــامت بإلقاء القبض على من أتهم بأعمـــــال الشغب تلك ،ورغم المعارضة الشديدة للإلحاق إلا أنـــه أعلن رسميا يوم 30نوفمبر

([1]) Un vieux pére du desert: El Goléa Sicut palma Florebit,Revue Grand lacs, Revue Mensuelle des Missionnaires d'Afrique,Edition 1,53eme.année,N :5-6 ,1er Mars 1937,Paris,France.

1882م ،ورفع العلم الفرنسي محّيا بواحد وعشريين طلقة مدفعية ،وسجن الشيخ إطفيش ترهيبا للسكان [1].

وغير بعيد من غرداية كانت القوات الفرنسية قد استولت على منطقة متليلي بعد مقاومة شرسة من أهلها.

وبحلول سنة 1886 كانت فرنسا قد أحكمت سيطرتها الفعلية على وسط الصحراء حيث استطاعت تنظيم إدارتها وإحصاء السكان والأملاك وتعيين القياد المحليين بتلك الجهات [2].

3/- احتلال منطقة عين صالح 1899:

بعد نجاح الجنرال"توماسين" (Thomassin) في مصالحة أولاد سيدي الشيخ لجأت فرنسا إلى إنتهاج أسلوب لين مع المناطق الصحراوية الأخرى ،خاصة بعد إنشاء مركز عسكري ثابت بالمنيعة "حاسي الشبابة" . وفي محاولة لاستكمال التوسع الاستعماري في الجنوب الشرقي انطلقت في خريف 1899م بعثة علمية ترأسها الأستاذ "فلامون "لاكتشاف منطقة عين صالح التعرف على إمكانياتها.

غادرت البعثة مدينة ورقلة يوم 28 نوفمبر 1899م باتجاه عين صالح ،و كان هدفها إكتشاف منطقة تادمايت والتعرف عليها،لكن

([1]) يوسف بن بكير الحاج سعيد ، مرجع سابق ، ص ص 148 -149 .

([2]) يوسف بن بكير الحاج سعيد ، مرجع سابق ، ص 150.

البعثة حولت هدفها إلى حملة شرسة [1]،بعدما وصلت إلى المنطقة يوم 26 ديسمبر.اكتشف السكان المحليون نوايا وأهداف هذه البعثة ،فأخذو في الإعداد لمواجهة عدوهم ،وأرسلوا إلى سكان القصور والتجمعات الأخرى لطلب النجدات والدفاع عن الأرض والعرض

،خاصة منطق تيديكلت وتوات ،وقاموا بهجوم مفاجئ عليها يوم 28/ديسمبر 1899 [2]،قاد المقاومة من جانب الأهالي الحاج المهدي با جودة.ومولاي الرقاني ، قدرت المصادر التاريخية عدد مقاتليهم بحوالي 1200رجل،فوقعت بالمنطقة معارك عدة مثل معركة "الفقيقرة" 4 جانفي 1900م ومعركة الدغامشة من نفس الشهر، كان النصر حليف القوات الفرنسية المدججة بأنواع الأسلحة [3]، وهكذا وقعت عين صالح تحت الاحتلال الفرنسي .

4/-إخضاع منطقة الهقار :

بعد نجاح البعثات الاستكشافية في مطلع القرن 19م في اختراق المجتمع التارقي، و دخول القوات الفرنسية مدينة عين صالح سنة 1899،وحلول الفيالق

([1]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص460 .

([2]) دحمان تواتي ، مقلاتي عبد الله ، رمروم محفوظ ، دور أقاليم توات خلال الثورة التحريرية (1956.1962م) ط1، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر، 2008م ، ص46.

([3]) إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ، ص461 .

العسكرية بها، استمرت فرنسا في توسعها في أقصى الجنوب الشرقي ،و اختلق الفرنسيون الأسباب الكافية لدخول منطقة الهقار،فنشبت أولى المعارك وهي معركة " تيت" هذه المعركة التي شكل لها النقيب كوتنيست (Cottnest) أربع سرايا من 130 جندي، وصلت في البداية إلى "حاسي اسكام "قادمة من عين صالح في طريقها إلى تمنراست ،فنظم التوارق أنفسهم لمواجهة الفرنسيين .وفي أثناء تقدم القوات الفرنسية ووصولها إلى مشارف المنطقة وقعت معركة في يوم7.ماي 1902م بين الجانبين مخلفة مقتل 96 مجاهدا[1]، فيما قلل المستعمر من عدد خسائره، بعدها وصلت القوات الفرنسية منطقة عين أمقل(جنوب عين صالح)جنوبا في 9ماي .

تيقن الفرنسيون أن السيطرة على هذه المناطق التي وصلوا إليها صعبة ومكلفة ،لذلك سلك النقيب كوفي (Cauvet) طريق التفاوض وشراء ود التوارق، فاتصل بموسى "أق مستان" للتفاوض معه لنفوذه الواسع لدى التوارق . وذلك كله من أجل التوسع في الهقار بطرق هادئة وسليمة،ولكن مساعيها باءت بالفشل.

(1) إبراهيم مياسي ، نفسه ، ص ص524– 525 .

وقد لعب "احمد بيلو" دورا كبيرا في تثبيت نفوذ الفرنسيين هناك .وشهد يوم 21 جانفي 1904م توقيع معاهدة بين الفرنسيين وممثل التوارق "أق مستان" لإخضاع منطقة الهقار للنفوذ الفرنسي [1].

5/-السيطرة على منطقة التاسلي (جانت):

حاولت القوات الفرنسية التوغل في منطقة جانت في أول مسعى لها عام 1908م غير أن المقاومة بقيادة الشيخ أمود(*)،خيبت ظنونها ،فأعادت الكرة في 1909وتمكنت من الدخول إلى جانت،مما اضطر الشيخ أمود ومن معه من الثوار للجوء إلى ليبيا .ومع حلول عام 1913 م عاود أمود اصطدامه مع الفرنسيين، وبرغم التعزيزات المتواجدة تحت قيادة الجنرال "لابيرين" إلا أن أمود هزم الفرنسيين في معركة (اسين).

وبحلول 1918م انتهجت فرنسا من جديد سياسة القوة والترهيب ،حيث نظمت حملات عسكرية شنيعة ضد السكان

([1]) دحمان تواتي وآخرون ، نفسه ، ص48 .

(*) ولد الشيخ بن مختارأمود في 1858 بجانت ،ينتمي إلى قبيلة إمانن ،تنقل في صباه بين عين صالح وتمنراست أين تلقى مبادئ اللغة العربية وأصول الدين ولقد لعب دورا بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسي بأقصى الجنوب في فترة (1881-1923م)عند دخول المحتل المنطقة وفرض سيطرته عليها غادرها الشيخ أمود متوجها إلى قرية لغريفة (فزان) بليبيا ومكتب بها إلى أن وافته المنية عام 1982م ودفن بها رحمة الله عليه. أنظر :عبد السلام بوشارب ، مرجع سابق ، ص 163.

العزل ،كان نتاجها تشرد الكثير من الأهالي .مما أضطر الشيخ أمود إلى إيجاد مخرج لسكان المنطقة، فعقد صلحا مع البغاة الغازين .

ومنذ تاريخ جانفي 1924م كان الأمر قد استتب للمستعمر وبسط سيطرته المطلقة على المنطقة[1] .

وبذلك فرض الفرنسيون سيطرتهم على تلك المناطق،وشرعوا في تطبيق سياساتهم العسكرية والاجتماعية وحتى الثقافية ، بعدما دخل الجنوب الجزائري مرحلة جديدة من تاريخه ألا وهي مرحلة الاحتلال الفرنسي الفعلي .فلقد كانت بشرى حلول القرن العشرين بالنسبة للاستعمار الفرنسي هي وصوله إلى مناطق الصحراء الجزائرية شرقها وغربها هذه المناطق التي طالما سعى لضمها .

(1) عبد السلام بوشارب ، نفسه ، ص 105 .

ج) – السياسة الإستعمارية الفرنسية في الصحراء:

لقد كانت الصحراء الجزائرية جزءا لا يتجزأ من الجزائر، وهذا باعتراف كل القوانين الفرنسية وعلى رأسها القانون الفرنسي الخاص بالجزائر والصادر في سنة 1884 ،والذي فحواه أن الصحراء أراضى جزائرية تتبع الولاية العامة بالجزائر في كل شؤونها السياسية والإدارية والاقتصادية،ففرنسا هي سلطة الاحتلال في الجنوب كما هي في

الشمال[1] ،لكن الملاحظ أن السياسة الاستعمارية في الصحراء كانت لها توجهات مختلفة طوال فترة الاحتلال !

1/-المخططات الفرنسية بالصحراء قبل 1947م:

يعود الاهتمام الفرنسي بالصحراء إلى بدايات الاحتلال عن طريق البعثات الاستكشافية التي كانت بحق مفتاح الاحتلال العسكري لتلك المناطق بعد ما تمكنت فرنسا من رسم وتحديد أهم المعالم الرئيسية بها، كأماكن تواجد السكان وطرق المواصلات الرئيسية وحركة التجارة وغيرها،خاصة في عهد الجنرال " بيجو " [2].

فمع حلول القرن العشرين كانت فرنسا قد أحكمت سيطرتها على الصحراء وأصدرت في 24ديسمبر 1902م قانونا ظل طوال نصف قرن هو النظام الأساسي لأراضي الجنوب الجزائري بدوافع توسعية ومالية بحتة، هذا القانون أبقى الجنوب تحت النظام العسكري خلافا للمناطق الشمالية التي خضعت لقانون المدني[3]، ولما كان

([1]) يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ط1، دارالبعث ، قسنطينة الجزائر،1980 ص270 .

([2]) يحي بوعزيز ، نفسه ،271 .

([3]) صالح فركوس ، مرجع سابق ،ص251 .

الفرنسيون جادين في مساعيهم التوسعية رسموا لذلك سياسة محكمة من خلال الإحاطة بطرق المواصلات ومعرفة طرق القوافل القديمة وذلك بهدف :

- تسهيل عمليات نقل قواتها العسكرية الغازية وخلق مراكز عسكرية .
- ربط مستعمراته المختلفة بعضها ببعض لكون الصحراء الجزائرية كانت تتوسط تلك المستعمرات شمالا وجنوبا.
- خدمة التجارة الفرنسية وفتح الأبواب والسبل أمامها باتجاه إفريقيا السوداء.

ولتحقيق تلك الأهداف خطط الفرنسيون إقامة خطوط سكة حديدية عابرة للصحراء الكبرى منذ النصف الأول للقرن 19م [1].

فمن تلك المخططات ما جاء به الضابط "كاباني"والذي أعد دراسة لمشروع سكة حديدية تكون بدايتها من مدينة الجزائر مرورا ببوسعادة فورقلة لتتفرع بعدها إلى فرعين الأول يذهب باتجاه الحدود التونسية إلى ليبيا،والثاني باتجاه مدينة عين صالح ومنه إلى منطقة الهقار،هذا المشروع الذي هندس له المهندس "أدولف دبو نشيل " وتقرر بداية الأشغال به سنة1853،لكن هذا المخطط الفرنسي لم يكتمل بل ظل في مراحله الأولى[2].

([1]) أحميد عميراوي ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص17 .

([2]) أحميد عميراوي ، وآخرون ، نفسه ، ص18 .

(*) توات هو إقليم جغرافي شاسع يقع جنوب غرب الصحراء الجزائرية ،يضم في خباياه اكثر من 350 قصر وواحة ويضم مناطق أدرار، تيميمون، قورارة ، ومنطقة رقان : أنظر.دحمان تواتي وآخرون ، مرجع سابق ، ص ص 1-4 .

وبحلول سنة 1875م قدم "نشيل"مشروعا آخرا كان يهدف إلى ربط الجزائر من الشمال إلى الجنوب بمشروع سكة حديد من مدينة مرورا ببوغار فالجلفة فالأغواط فغرداية فالمنيعة وصولا إلى إقليم توات (*)،ومنه إلى تومبكتو بهدف الوصول إلى أعماق الصحراء الإفريقية الكبرى ،هذا الخط الذي شبهه صاحبه بخط السكة الحديدية العابر لقارة أمريكا الشمالية من الشمال إلى الجنوب.وأنفق على الهيئات والمؤسسات التي قامت بدراسته ما قيمته ثلاثة ملايين فرنك فرنسي [1].

ومع حلول 1899م أخذت السياسة الفرنسية في المناطق الصحراوية توجها زراعيا، حينما طرح رجل الاقتصاد "بيروا بولي" مشروعا للقيام بإحياء الأراضي الفلاحية الموازية لسكة الحديد المتوجهة إلى الجنوب الشرقي.وكانت رؤية هذا الرجل تشمل استغلال حركة البضائع القادمة من السودان الفرنسي ،واستخراج الخيرات المعدنية التي تزخر بها المنطقة، لكن المشروع لم يتحقق كونه تزامن ودخول فرنسا معترك الحرب العالمية الاولى1914م.

2/- سياسة فرنسا بالصحراء بعد 1947م:

لقد كان لصدور ما يسمى القانون الخاص بالجزائر أو القانون الأساسي يوم 20سبتمبر1947م

(1) أحميد عميراوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 19 .

انعكاسات مباشرة على الجنوب الجزائري ،فقد تضمن هذا القانون في مادته الخمسين إزالة الحكم العسكري عن مناطق الصحراء وإلحاقها بالنظم المعمول بها في شمال البلاد ،أما ما تعلق بانتخاب مجلس الجمهورية فإن المرسوم الصادر 1947م قد تناول في مادته الأولى الأعضاء الممثلين للجزائر ب14 مقعدا موزعة على دوائر تشمل أراضي الجنوب الجزائري [1].

وفي سنة 1951 أودعت الحكومة الفرنسية مشروع قانون يرمي إلى إلغاء القوانين الخاصة بالجنوب ،فأبدت اللجنة الوطنية الفرنسية تأييدها للقانون في 1951/9/20م لكن سرعان ما تراجعت عنه وعارضته في 1952/6/4م .ومنذ ذلك الحين تعددت الاقتراحات الفرنسية بتحويل الصحراء إلى إقليم يتمتع باستقلال ذاتي . لكن الحركة الوطنية الجزائرية اعترضت على تلك الاقتراحات بشدة [2].

وعلى الرغم من أن فرنسا فشلت في وضع الجنوب الجزائري كوحدة سياسية مستقلة إلا أننا نجد أنها– في الجانب الاقتصادي– رمت بكل ثقلها من أجل نهب ثروات المنطقة، خصوصا بعد اكتشاف البترول سنة 1941م من طرف الشركة القومية للبحث عن البترول في الجزائر(C.N.Repal)، يضاف لها فيما بعد "مكتب البحوث البترولية "عام 1945،

([1]) صالح فركوس ، مرجع سابق ، 293 .

([2])احميد عميراوي ، وآخرون ، مرجع سابق ، ص 31.

ولاستغلال تلك الاكتشافات أنشئت "الشركة الفرنسية للبترول في الجزائر " (C.F.P.A)،1946. و مكتب التنقيب عن المعادن في مارس 1948 الذي شمل نشاطه مناطق الواحات ومنطقة الساورة .

وبتدفق أولى كميات البترول الجزائري 1951م(*)، أنشأت فرنسا شركة البحث واستغلال بترول الصحراء (C.R.P.S) ،ليليها اكتشاف الغاز الطبيعي لأول مرة و ذلك في منطقة جبل برغة بعين صالح [1].

منذ ذلك الحين ركزت فرنسا تواجدها في الصحراء،والسبب يعود لما اكتشفته في باطن هذه الأراضي من ثروات هائلة .

ومع اندلاع ثورة 1نوفمبر1954م سعت فرنسا جاهدة لجعل الصحراء خارج مجال الصراع، بل فرضت عليها حصارا ،وقسمت المنطقة إلى عمالتين هما الواحات والساورة ووصل الأمر إلى حد إنشاء قيادة عسكرية منفصلة للصحراء واستحداث منصب وزير للصحراء في الحكومة الفرنسية بباريس .

ومع تصاعد لهيب الثورة واستلام الجنرال ديغول مقاليد الحكم ،جعل هذا الأخير من أولوياته في التفاوض مع جبهة التحرير الوطني فصل الصحراء عن الشمال، وروج

(*) اكتشف البترول في منطقة حاسي مسعود شرقي مدينة ورقلة .هدا الاكتشاف سوف يغير من السياسة الفرنسية في المنطقة ،وتأخذ أبعاد وتطورات خاصة خلال السنوات التي تلي 1954م،أنظر،إبراهيم مياسي ، مرجع سابق،ص 123.

([1]) احميد عميراوي ، وآخرون ، المرجع السابق ، ص 43.

لفكـــــــــرة "الجمهورية الصحراوية المستقلة"، لكـــــن حنكة وصمـــــــــــود ودبلـــــــــوماسيـــــــة جبهـــــة التحـــــــرير الـــــــوطني كانت اعتـــــى من سياسة ديغول الانفصاليـــــــة،وتـــــــــــــــــدعم موقـــــــــف جبهـــــــــة التحـــــــريـــر بتلك المـــــــظاهرات التي قامت في ورقـــــــــلة الرافضة لفـــــصل الـــــصـــــحـــــراء يوم 05/جويلية.1961رافعة شعـــــــــار(الصحـــــــــــــــراء جزائـــــــــريـــــــــــة)

[1].وسقـــــــطت كـــــــل تلك المنـــــاورات الفـــــــرنسية الـــــــــمدعـــــــــــومة بـــــــكل إمكـــــــــانياتها الماديـــــــــــة والبشرية من أجـــــــــل فصل الصحراء ،وأرغمت فـــــــــرنسا عـــــــــلى الاعـــتراف بوحدة التراب الجزائري .

(1) احميد عميراوي ، وآخرون ، مرجع سابق ،ص 25 .

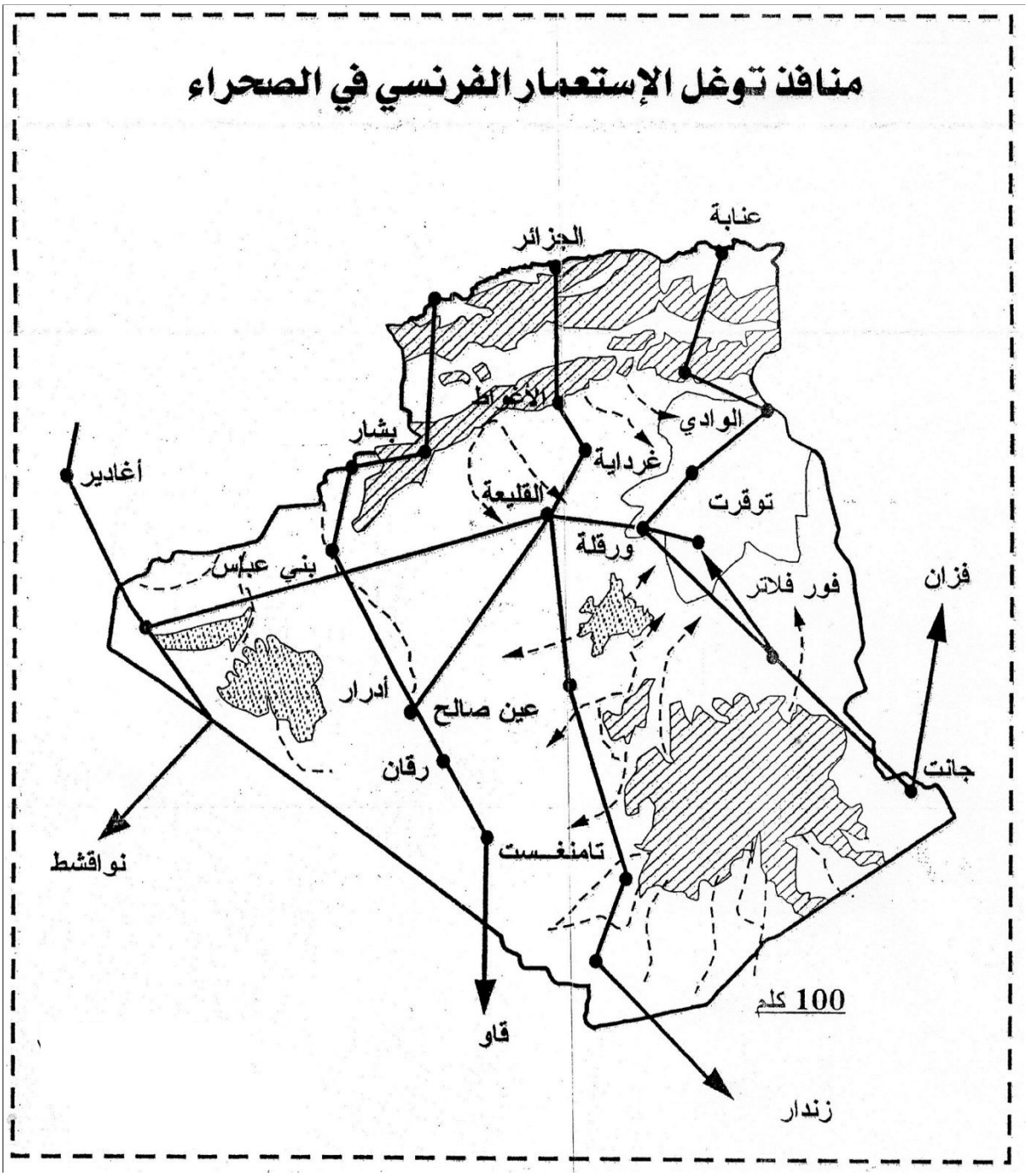
منافذ توغل الإستعمار الفرنسي في الصحراء
عنابة
الجزائر
الأغواط
الوادي
بشار
غرداية
أغادير
القليعة
توقرت
ورقلة
بني عباس
فور فلاتر
فزان
أدرار
عين صالح
رقان
جانت
نواقشط
تامنغست
100 كلم
قاو
زندار

المصدر : احميد عميراوي ، وآخرون ، مرجع سابق ،ص98 .